لكن يمكن له ان يكون ضد الواقعية . وهذا الامر الاخير ، بالمعقول كله وباللامعقول جميعه ، اي بالشعر » . يؤكد على ضرورة العلاقة الواسعة بين الشاعر وجمهوره . يبسط هذه العلاقة في اقاصيص يرويها عن تجاربه الشخصية وعن علاقاته بقرائه . هذه الظاهرة التي تبدو لنا تبسيطية ، تعبر في الواقع عن احتمالين مترابطين : فهي من جهة اولى تشير الى المدى الذي يستطيع شاعر القضية ان يتحرك داخله ، حين يصبح في مرحلة ما ، صوتا فنيا لمرحلة كاملة . وهذه هي حالة نيرودا . فهو صوت الشعر التشيلي الاساسي ، لانه لخص في شعره البساطة الى جانب الحلم ، داخل قضية الشعب . كما انها تشير من جهة ثانية الى ظاهرة ثقافية عامة . ظاهرة الدور الثقافي الذي لعبه شعراء وادباء الطبقة العاملة في الثقافة الغربية بوصفهم مؤهلين وحدهم لحمل اجمل عناصر التراث الثوري الثقافي البرجوازي ، ودمجه بتطلعات ثقافية تحملها الطبقة العاملة . فالثورة ، هي محاولة الطبقة الثورية انقاذ المجتمع بأسره وهذا يتضمن بالضرورة انقاذ تراثه الثقافي . هذا ما يفسر دور اراغون وايلوار وغيرهما في الثقافة الفرنسية الحديثة . هنا بالضبط يقع صوت نيرودا . انه آخر ادباء الطبقة العاملة « النبلاء » الذين حاولوا مخلصين ، انقاذ تراثهم وتاريخهم ومجتمعهم بالثورة . لكن محاولتهم الابداعية ، اصطدمت بحائط مسدود ، فأتت الثورة من مكان اخر . وجاء الصوت الفني الجديد لا لينقذ ، لانه لا يقوم على تاريخ متواصل بل ليؤسس . هكذا تنفجر اليوم الثقافة الغربية الثورية . لانها تعيش في مجتمع ينفجر ولا مخرج له الا بالاختيار الذي رسمه نيرودا ورفاقه . وهذا الاختيار يصطدم بصعوبات كثيرة . لذلك لا تطرح المسألة خارج دائرة الثقافة الغربية بمثل الوضوح الذي يطرحها به نيرودا ورفاقه الشعراء . انهم لا يبسطون المسائل ، لكننا في المقابل لا نعقدها . نحن وهم وجهان لمسألة واحدة.

في اللحظات الاخيرة ، كان الفاشيون يمزقون الكتب واثاث المنزل ، فيما كان الشاعر نائما بهدوء في سريره . لقد رسم الطريق ، وهم ، البرجوازيين الفاشيون ، يقتلون الثقافة ويدمرون انفسهم . لذلك كان موت نيرودا شهادة لزمن قادم . زمن الجماهير التي تكتب الشعر لانها تكتب صفحة جديدة من تاريخ العالم .

مأزق النقد الاكاديمي

يشكل النقد الاكاديمي ، اكثر مناطق الحركة النقدية العربية بروزا . فمنه خرجت أهم المدارس النقدية التي طبعت الادب العربي بطابعها المميز في هذا القرن ، طه حسين ، محمد مندور ، لويس عوض ، احسان عباس ... لكن هذا النقد كان يواجه دائما بصعوبة تكونه في العلاقات الداخلية التي تحكم البناء الاكاديمي العربي ، حيث تنمو الروح المحافظة التي تقف بوجه كل جديد . واذا كان كبار النقاد الاكاديميين قد استطاعوا بنسب متفاوتة كسر رتابة الجمود الجامعي، ودفعوا مقابل ذلك الكثير ، فان هذا لا ينسحب بشكل مطلق على جميع الدراسات الاكاديمية ، التي تبقى ممثلة اخلاصا لاصالة ليست اكثر من خليط عجيب لمدارس نقدية متفرقة ، اخذت بنتائجها وليس بمقدماتها .

واذا أخذنا الدراسات النقدية الفلسطينية كنموذج ، فاننا نجد ان نقد الصوت الادبي الفلسطيني ، لا يزال في مجمله أسير انطباعية نقدية فرضها توسع الصحافة السريع ، وتحول الموضوع الفلسطيني الى موضوع اساسي يشغل القارىء العربي بعد ولادة الثورة المسلحة . وتحاول بعض الدراسات المتفرقة الخروج على هذه الانطباعية ، بمحاولة دراسة الصوت الادبي الفلسطيني ككل . وحتى الان لا يوجد نماذج لهذه الدراسات الجامعة الا في محاولات الكتب الاكاديمية

---

* د. عبد الرحمن الكيالي : **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٥ .